إعلام الهدم المُضلِلْ وإعلام البناء الهادف

حنا الراهب

لعب الاعلام–عبر مراحله المتعددة– دورا هاما ويكاد يكون رئيسيا في توجيه الراي العام وتهيئة المجتمعات على الصعيدين الداخلي والخارجي،تارة في خدمة الدولة وقبول ورفض قراراتها ومعاهداتها، وتارة في التصدي لاخطار وتدخلات خارجية. حيث لعب الخطباء والشعراء ومروجوا الاشاعات في الممالك القديمة وفي حواضرها وقبائلها وبدوها، ادوارا مشهورة في تعبئة الجماهير واستنهاض هممها لصد هجمات وغزو المعتدين او للثورة والاطاحة بانظمة الظالمين،ولعبوا بالمقابل وبالجانب السلبي ادوارا مضادة في تثبيط الهمم وبث عوامل الفرقة والانهزام والتشتت.

وبظهور الصحف والمجلات والمنشورات والملصقات، ومن بعدها الاذاعات المحلية ثم الدولية والعالمية، وما اعقبها من ظهور التلفزة المحلية والفضائية واخرها وليس اخيرها شبكات الانترنيت ومواقعها المختلفة، بظهور هذة النقلات الاعلامية الانفجارية المتسارعة صار للاعلام كاس السبق في انجاح اي مشروع او افشاله وتثبيت اي قرار او ابطاله في رفع شان من تريد واسقاط قدر من لا تريد حتى صارت تعلو بدان لا يعلى وتدنو بعال لا يدانى. بل صارت سببا في تجييش الجيوش واسقاط الحكومات. واعلان الحروب واحلال السلام وتغيير الامور من حال الى حال وقلب الحقائق وتزوير المصاديق. بما اتقنته من اساليب تنوعت بين سيناريوهات افلام ومقابلات وندوات تعد بخبرة وحذاقة وربما بلؤم وخبث وبين صورمعبرة او شعارات مدروسةاو اعلانات متقنه وقد تكون مقالة او رسما كاريكاتوريا او تحليلا او تعليقا او استنتاجا او غيرها الكثير. ولقد كانت حصة العراق من هذة الطفرات الاعلامية– بعد سقوط لسلطة السابقة– كبيرة فبعد ان كانت الصحافة محصورة باربعة صحف حكومية مع منع دخول الصحف والمجلات العربية والاجنبية افترشت الشارع العراقي قرابة " ٢٧٠صحيفة ومجلة" متعددة الاهواء والمشارب وبعد ان كان المشاهد العراقي محصورا بين قناتين رسميتين محتكرتين صار يستقبل كل فضائيات العالم العربي والاقليمي والدولي. بل انتشرت في محافظات العراق وغطت اجواءه اكثر من ثلاثين قناة تلفزيونية ارضية وفضائية ومثلها من الاذاعات وهي الاخرى متعددة الاهواء والميول والاتجاهات. وتكاد تكون هذة الوسائل الاعلامية منفلتة في اكثر الاحيان. ومن الطبيعي ان تشهد العملية السياسية وبعد التحولات الجذرية التي حصلت اثر سقوط السلطة السابقة وتداعيتها، اعلاما مختلف الاتجاهات في ظل فسحة الديمقراطية الجديدة بعد عهود وحقب من الكبت والحرمان ومن الطبيعي ايضا ان تواجه العملية اعلاما مضادا على المستويين الداخلي والخارجي والمتتبع لوسائل الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية يلحظ بوضوح مثل هذا التوجه،والخطورة تكمن في توجهات الاعلام الداخلي كونه سيضع المواطن العراقي على مفترق الطرق بين شد وجذب اذ سيتلقى تحليلات وتفسيرات متضاربة ومتقاطعة لحدث واحد او اجراء معين في آن واحد ما يؤدي الى تشويش وتشتت يصيب الكثيرين بالاحباط والاستسلام فليس كل الناس قادرين على التمييز والفرز والفصل بين الاعلام الهادف البناء والاعلام المضلل الهدام الذي يسعى الى اثارة الاحتقان الطائفي والعنصري والتناحر السياسي والتناحر المناطقي. والذي يركز في كل وسائله وادواته ومفاصله على الامور السلبية ويفخم ابسط النزاعات ويضخم اصغر الحوادث اضافة لما سبق من اهدافه المشبوهه، ما يجعل المواطن مصابا باليأس والنكوص وهو يعيش في مساحة مكتضة بالقتل والتفجير والخطف والنزاعات السياسية المستمرة حتى لا يبقى لديه شك بان البلاد تسير نحو هاوية الخراب والدمار!.

وبما ان الاعلام الحر يحمل رسالة انسانية وواجب وطني واخلاقي فلابد ان يركز في هذة المرحلة الحرجة على اشاعة كل ما من شانه تثبيت الوحدة الوطنية والابتعاد عن المصطلحات التي تذكر بالعنصرية والطائفية والمذهبية كما تقع على عاتق ملاكاته ومؤسساته مسؤولية تفنيد ودحض كل الاشاعات والتخرصات المشبوهة التي يراد بها الحاق المزيد من الخراب والدمار ببلدنا الجريح واراقة المزيد من انهار دماء شعبه الصابر وذلك بكشف وفضح الاكاذيب ومفتريات الاعلام المضلل باستخدام ما يناسب تلك المفاصل والقنوات الاعلامية من وسائل الرد وباسلوب مقارعة الفكر التحريضي الظلامي المريض بالفكر التنويري الخلاق بغية بناء الانسان الواعي المعاصر.

تلكيف نموذج للنسيج العراقي الجميل

محمد ذنون ـ تلكيف

لو اخذنا تلكيف وهي قضاء تابع لمحافظة نينوى كمثال عن الحالة العراقية او عن النسيج العراقي المتعدد الالوان فأن فيها طوائف من مختلف الاديان والقوميات وهي باقة انصهرت خلال عقود من الزمن واخرجت الى الوجود نموذجا لا يمكن الا الاقرار بمثاليته فأصبحت الالفة سمة بارزة لاهل المدينة.. فنحن على قناعة ان الرابطة التي جمعتهم هي رابطة قوية جدا ولا يمكن لاي تيار سام ان يؤثر بهذه العلاقه او يفكك خيوطها او نسيجها الجميل.. وهي بهذه الحالة شكلت نموذجا من الابداع والترابط الصميمي الذي قل نظير له.

ان بطش الارهاب وطغيان الأفكار الهدامة امر طارىء على التوليفة العراقية التي لم ولن تجد اذنا صاغية لها.. فالكل يؤمن بوحدة البلد ويرفض تحويله الى دويلات صغيرة ومتناحرة من باب اللحمة الواحدة والوطنية التي هي متنفس الجميع بكل جزء فيه.. اضافة الى قواسم التاريخ بتقلباته العديدة، فأني اتعجب من هذه الأفكار الضالة والمنحرفة كيف تجد القبول في أي مجتمع خصوصا وان تلك المكونات قد عاشت وتربت على تقاليد مشتركة واخرجت الى الوجود ثقافة واحدة بعد ان استلهمت ذلك الموروث الانساني بعمقه والذي شيده الاجداد جيلا بعد جيل.

عندما اضرب المثال عن تلكيف تلك المدينة الصغيرة الحجم والكبيره بأبنائها وتاريخها الاشم استلهم معاني العلاقة الحميمة التي جمعت ابناء المدينة.. فقد تعايشت فيها الاديان والقوميات المختلفة حالها حال العراق دون ان تكون سببا للفرقة او بث الفكر الهدام او الطائفية المقيتة النتنة.. بل كانت هذه التعدديات او النسيج المختلف الالوان سببا من اسباب التعايش الذي اخرج الى النور تباشير المجد الواحد وابدعت في خلق ارث كبير ما زلنا نتداوله على الالسن.. وربما كانت هناك بعض الحالات الشاذة التي يجب ان لا نمر عليها او نعير لها الانتباه، فهي حالات يمكن اعتبارها زوبعة في فنجان.. وعلينا ان نعي هذه النقطة جيدا وهي ان العراقي الذي ارتوى من دجلة والفرات أيا كان دينه او القومية التي ينتمي اليها مع اخيه العراقي في السراء والضراء وليس مع الاخر الذي يبحث عن فتحات مظلمة ليتسلل الينا لتعكير الالفة وهدم الاواصر المشتركه.

نحن جميعا نعتز بعمق الحضاره الاشورية التي فجرت ابداعاتها على هذه الارض خصوصا وان بقايا هذه الحضارة ما زالت شاخصة للابصار هنا في تلكيف.. حيث توجد مقبرة لاخواننا المسيحين كانت في الاصل "تل" حراسة يرابط بها الجنود الاشوريون حماية لحدود هذه الامبراطورية من هجمات المعتدين واعداء الحضارة الذين لا يروق لهم مشاهدة أي تقدم او ابداع.. حيث ازدادت هجمات الغزاة ولكنها كانت تتكسر على حدود هذه الامبراطورية الصلبة بعقول ابنائها..

فهذه الحضارة وعلى سبيل المثال هي اثر مشترك للعراقي أي كان دينه او قوميته وفخر يحمله الجميع دون استثناء.. وهذه ميزة جمعت العراقيين وعلينا ان نضع لها الاعتبار ونستلهم منها الدروس لبناء العلاقة التي نريدها.

عندما يُستثنى الأطفال من الفرح

ميدل إيست أون لاين/ زياد العيساوي

في ذيل النشرة الصحية المرفقة طي أية علبة دوائية، غالباً ما يجد قارئها العبارة التالية "لا تترك هذا الدواء في متناول الأطفال"، خشية الضرر الذي قد يلحق بهم من جراء تناولهم إياه بشكل خاطئ، فينقلب هذا المستحضر من كونه دواء إلى داء، ولكن هذا لا يعني، أن الدواء يقتصر استعماله على الكبار وكفى، بل هو معد ومستحضر للصغار أيضا.

لكنّ الكبار يدركون ويعقلون جيداً الجرعة المسموح لهم بها، على عكس الصغار الذين لا يعون ذلك، فيطلع الكبار بمهمة الإشراف على متابعة الصغار، لدى إعطائهم الجرعة المخصصة لهم، ما يعنى أنّ تلك العبارة في حقيقتها تخاطب الكبار بمهمة الإشراف على متابعة الصغار، شأنها في ذلك شأن عبارة أخرى، عادةً ما نجدها مُلصَقةً على علب التبغ محذرة إياهم من الاستمرار في التدخين.

وبعد ما جاء في المقدمة، أدعو قارئ هذا المقال، لتناول ثلاث بطاقات، من بطاقات الدعوة للأفراح، هكذا خبطة عشواء، لكثرة ما تعجّ بيوتنا بها، ويقوم بعد ذلك بقراءة ما خطّ في كل واحدة منها بالحبر الذهبي، فما الذي سيقرأ فيها؟ وفيما اختلفت واتفقت ديباجتها؟. سيبدو له حين قراءتها أن الاختلاف واضحٌ في أسماء الداعين، وفي زمان ومكان كل دعوة منها، وسيصل بعد حين من قراءته لها، إلى حقيقة مفادها، أنها تتفق في أمر واحد، عندما يجد في أسفل كل واحدة منها إحدى العبارات التالية: "نوماً هادئاً للأطفال"، أو "ترجو للأطفال أحلاماً سعيدة"، أو "يُمنع اصطحاب الأطفال".

يجد القارئ لهذه العبارات الثلاث، أنها قد اختلفت في لهجاتها، بيد أنها تراوحت بين التمني والرجاء والتحذير صراحة، وعلى الرغم من هذا الاختلاف في لهجاتها، إلا أنها تتمحور حول شيء واحد، وترمي إلى غاية واحدة، وهي أنّ كل دعوة منها تقتصر على الكبار فقط، وأن الأطفال مستثنون من الفرح، هذا ما نستشفه نحن القراء من خلال قراءتنا لها، وسنجد أيضا، أنها شبيهة بعبارة أخرى عادةً ما نجدها مكتوبة أسفل كل ملصق لأي شريط من أشرطة الخيالة "افلام سينمائية"، تحذر من اصطحاب الصغار إلى دور عرض الخيالة، لكون هذه الأشرطة قد لا تنسجم مع فئتهم العمرية، وهي مرحلة الطفولة، لما قد تعرض له من قصص ومشاهد لا تعنيهم بأية صلة سواء من قريب أو من بعيد، ولا تتوافق مع تطلعاتهم وأفكارهم المحدودة الآفاق، وخوفا من أن تنعكس عليهم هذه المشاهد بالسلب، يلجأ القائمون على هذه الأشرطة إلى كتابة العبارة المألوفة لدينا أسفل الملصقات وهي "للكبار فقط."

كأني بقارئ يتساءل: ما الذي دعانا نحن للخوض في غمار هذه القراءة؟.

نجيبه بأنّ ما دعانا لذلك، هو أننا نريد أن نعقد مقارنة، ما بين تلك العبارة التي نجدها في ذيل كل نشرة دوائية من جهة، وتلك العبارات الثلاث، التي لا نجد سواها في أسفل أية بطاقة دعوة للأفراح من جهة أخرى، وسنبدأ هذه المقارنة بوضع أوجه لها كما درجت العادة دائما، حين عقد أية مقارنة بين أمرين أو أكثر، ولتكن أوجه هذه المقارنة المزمع عقدها، متمثلة فيما يلي:

اولا – معرفة المخاطب: سنجد الخطاب موجهاً دائماً للكبار في النشرات الصحية، وفي بطاقات الدعوة للأفراح، سواء بسواء.

ثانياً– الغاية والوسيلة: الغاية من العبارة الموجودة في النشرة الصحية، هي الخوف على صحة الأطفال من التأثير السلبي الذي قد يتعرضون له حال تناولهم جرعات زائدة عن الحد المسموح لهم به من أي دواء، وهذا قد يحدث في حالة غياب إشراف الكبار ومتابعتهم، وخير وسيلة لتلافي هذا الخطر، هي وضع الأدوية بمنأى ومعزل عن الأطفال.

أما ما نقرؤه في بطاقات الدعوة من عبارات، وباختلاف ما سطرت به من لهجات، فتهدف كلها إلى أمر واحد، وهو عدم اصطحاب الأطفال إلى الأفراح، وبخصوص الوسيلة الكفيلة بهذا الغرض، تأتي على النقيض التام من الوسيلة المتبعة للمراد الأول.

هذا ما نستشفه بداهةً، عند قراءة تلك العبارات الثلاث، قراءةً موضوعيةً ومتأنية، لأننا سنجدها تتمنى لهم الهناء في النوم تارةً، وتارة أخرى، نجدها ترجو لهم السعادة في الأحلام، هذا إن نام الأطفال بمحض إرادتهم، ولأن هاتين العبارتين قد حكمتا عليهم مسبقاً بالنوم، فسنجد عبارةً أخرى فيها تحذير شديد اللهجة من اصطحابهم، هذا إن لم يكونوا نائمين، فعلى الكبار في هذه الحالة أن يدسوا للصغار المواد المخدرة لعقولهم، ليناموا رغماً عنهم، وهذه الوسيلة ليست حكراً على المدعوين، بل أن من يقيمون الفرح، هم أيضاً يتخذون من هذا الأمر وسيلة لتحقيق غايتهم.

إذن فالفرق بات بيّناً، من حيث الداعي لكتابة العبارة الموجودة في ذيل النشرة الصحية، وفي أسفل بطاقات الدعوة للأفراح، فالأولى جاءت من الحرص والخوف على سلامة الصغار، أما الثانية فجاءت للخوف والحرص منهم، لما قد يقومون به من مشاكسات وتخريب، لذا نجد بطاقات الدعوة، تحمل في طياتها دعوة لتخدير الأطفال.

لعل قارئ يتساءل: ما الذي نريده نحن من مقالنا هذا؟. ما أردناه في هذا المقال، أن نوجه في خاتمته رسالة عاجلة إلى الكبار، مكتوب في رأسها العبارة التالية "للكبار فقط" مفادها: إن كان المانع من اصطحاب الأطفال راجعاً لما ذكرناه آنفا، أي بسبب مشاكساتهم، فهذا لا يعطيكم الحقّ في أن تدسوا لهم المواد المخدرة، لأنّ اللائمة تلقى عليكم أنتم أولا، لكونكم لم تحسنوا تربيتهم، أو أن السبب عائد لترتيبات اقتصادية كالتوفير مثلاً، فلماذا يدفع الأطفال الثمن، عندما يُستثنون من الفرح؟.

من موروثنا الشعبي

الجنجر "كركرا"

بدران امرايا

الجنجر كلمة سريانية بمعنى التعذيب مشتقة من فعل السحب او السحل، وانها من الالات الخشبية المتحركة والتي تستخدم في طحن او هرس سيقان الحنطة او الشعير بعد حصادها يدويا.. هذه الالة عبارة عن دولاب خشبي شبيه بالدبابة او صندوق كبير وفيه دولابين متحركين من الخشب يستند عليهما في الحركة ومزروعين برؤوس من الفؤوس الحديدية الحادة ولا يظهر منها سوى افواهها القاطعة.. وهذه الالة تسحب بواسطة الدواب اكانت حميرا او بغالا او خيولا او ثيرانا فتدور تلك الرؤوس ملامسة الارض وتقطع ما يقع امامها حيث تمتد منها خشبة بطول مترين تسمى بالسريانية "مشانا" وظيفتها الربط بين الدواب والجنجر.. وتمتد هذه الخشبة من الجنجر الى خشبة اخرى بطول متر او اكثر تسمى بالسريانية "نيرا" او من نير الظلم النير الذي كان يوضع على رؤوس الناس لتعذيبهم قديما.. وفيه بوابتين لتمرير رأسي الدواب فيهما.. ويستند على "الباصولين" وهما عبارة عن اقواس جلدية محشوة بالحشيش او العشب اليابس لتكون خفيفة الحمل وظيفتها منع الاحتكاك او ايذاء عنقي الدواب اثناء الحركة او الدوران على البيدر.. وتثبت كل اجزاء الجنجر ببعضها بواسطة اوتاد خشبية تمرر من خلال الثقوب الجاهزة لذلك الغرض.. ويمتد حبل طويل من النيرا الى وسط البيدر ليربط بوتد عمودي يمنع الدابة من الخروج خارج البيدر ويدور مع دوران الدواب.. وهذا كله بعد ان يقوم الفلاح بتحضير البيدر او تسوية سيقان الحنطة او الشعير وعلى شكل دائري والجنجر يدور عليه حتى يهرسه الى دقيق التبن.. والعملية تمتد حسب كثرة او حجم البيدر.. ولاثقال الجنجر لكي يهرس اسرع يركب احد الاشخاص عليه وعلى الاغلب كانت هذه المهمة المسلية والممتعة من نصيب الاطفال او الصبيان.

ظاهرة بيرك

بيرك لفظة سريانية بمعنى الركون عند منطقة البركة اوربما مكان للامساك بالماشية لحلبها.. وهي ظاهرة كانت ولازالت احيانا تمارس من قبل ارباب الماشية حصرا وفي اجواء القرى حيث ما لاشك فيه ان اهالي القرى كانوا يمتلكون قطعانا جرارة من الماشية وخلال فصل الصيف يصعب جلبها الى البيت مساءا واطعامها فهذه تعد خسارة لاربابها.. الى جانب كون المراعي غنية بالكلأ و بعيدة عن القرى لذلك يصر الرعاة على البقاء في المراعي ليلا ونهارا وخلال فصل الصيف كله حتى اوان نزول المطر في الخريف.. حيث ترعى الماشية وتتسمن خلال هذه المدة وبعدها تعود ادراجها الى القرى حيث اسطبلاتها.. ولدى بقائها في تلك المراعي فانها تحتاج الى الحلب لكي لا ينحصر الحليب فيها وتمرض..

وفي العادة كانت نساء او بنات القرية ممن لهن ماشية يجتمعن عند الظهر في منطقة معينة من القرية ثم ينطلقن نحو القطعان لحلبها.. وهذه الظاهرة تسمى "بيرك".. وخلال الطريق كان هذا السرب من البنات والنسوة يغنين ويزمرن ويمزحن فيما بينهن وقهقهة الضحك كانت محببة منهن من كثرة الفرح والغبطة لان حياتهن كانت في غاية البساطة والالفة والحب.. وكان على الرعاة ان يجلبوا قطعانهم الى منطقة معينة تكون قريبة من القرية وتتميز بوفرة المياه عند البرك او مجاري الانهار والظلال ليشرب القطيع ومن ثم يستريح خلال فترة الظهيرة وتأتي "البيريات" تلك النسوة مصطحبات معهن اواني لوضع الحليب.. وكان على الاغلب يجلبن معهن آنية جلدية تسمى بالسريانية "زقا" أي جلد الخرفان او التيس مفرغ من اللحم والعظام ومدبوغ بمادة دقيق قشور الرمان حيث كان كثير الاستعمال للمياه او الحليب او لجمع الجبن المخلوط بالثوم المثروم..

ولدى وصول البيريات لمكان القطيع كان الرعاة ينتظروهن بفارغ الصبر لوصول وجبة الغداء المسماة بالسريانية "بنيتا" والتي كانت تقع على عاتق اولئك النسوة وبالتناوب يوميا.. فالراعي كان يتفرغ لتناول وجبته الدسمة مع ارتشاف اكواب من الشاي المغلي على الجمر الاحمر والمميز بنكهته ولذته وريحته الشهية وفي منطقة مريحة ومنعشة.. واما النسوة فكن يتفرقن بين القطيع كلا منهن تنادي ماشيتها بالاسم لحلبها او يجلسن على الصخور وتجلب لهن الماشية.. وبعد عملية الحلب كانت النسوة تستعد للرجوع لبيوتهن بعد رحلة شاقة مشيا على الاقدام او يمتطين دوابهن احيانا وهن سعيدات بينما الرعاة يقوموا بتحريك القطيع نحو الرعي في المروج هذا في النهار.. أما خلال الليل فكان رجل من ارباب الماشية يقوم بتحضير وجبة العشاء والمياه ومن ثم يقصد الراعي حيثما كان لينوب عنه "نوبانا" في رعي وحراسة الماشية خلال الليل بينما الراعي يتناول عشائه ويخلد الى الراحة و النوم بقرب من نار متقدة لغرض الاضاءة..

وهكذا يستمر الحال الى ان تمطر السماء ويستحيل بقاؤهم في العراء عندئذ يعود الرعاة ادراجهم الى القرى لايواء ماشيتهم من شدة برد الشتاء.. وهذه الظاهرة انحصرت بشكل كبير لاسباب لا تعد ولاتحصى منها وجود حقول الالغام وعدم الامان فضلا عن انها متعبة للكثير من الناس.. وهناك الكثير من قصص الحب المؤثرة وجدت بين الرعاة و"البيريات" وكذلك اغاني غنيت بهذه الظاهرة.